البارزاني

من مهاباد ... الى آراس

شوكت شيخ يزدين

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق
ص.ب رقم: ١
www.araspublisher.com

من مهاباد.. الى آراس

ترجمه الى الكردية وعلق عليه ووضع حواشيه

شوكت شيخ يزدين

الترجمة عن الكردية

شاخوان كركوكي

اسم الكتاب: من مهاباد... الى آراس
يتألف من كتب ثلاثة:
* من مهاباد الدامية الى ضفاف آراس، تأليف نجف قولي پسيان
* البارزاني لن يستسلم لأحد، تأليف علي حسن تَفرشيان
* من كردستان العراق الى الضفة الأخرى لنهر آراس، تأليف مرتضى زَرَبَخت
ترجمه عن الفارسية وقدم له ووضع حواشيه: شوكت شيخ يزدين
ترجمه عن الكردية: شاخوان كركوكي
من منشورات ئاراس رقم: ١٨١
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
التنضيد: نسار عبدالله - نادية عزيز - كردستان مزوري
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - اربيل ٢٠٠٣
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٧٧ / ٢٠٠٣

كلمة قصيرة

القارئ الكريم:

إن ما تجده بين دفتي هذا الكتاب هو أصلاً ثلاثة كتب لثلاثة مؤلفين مختلفين. إلا أن الكتب الثلاثة تتناول الموضوع نفسه، إشتراك البارزاني الخالد ورفاقة والعشيرة البارزانية في قيام ونشأة، والدفاع عن جمهورية كردستان (مهاباد) في العامين ١٩٤٥-١٩٤٦. ثم المقاومة، والكفاح الذي خاضه البارزاني وپيشمرگته الابطال لدى إنتهاء عمر الجمهورية القصير، فمسيرتهم الى الإتحاد السوڤييتي والمعارك والمواجهات التي وقعت في طريق هذه المسيرة بين پيشمرگه البارزاني والجيش الإيراني.

لقد نشرنا هذه الكتب الثلاثة، كلاً على حدة في السابق، إلاّ أننا إرتأينا في الذكرى (٥٥) لتأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني والذكرى (٥٤) لمسيرة ربيع العام ١٩٤٧ التاريخية وعبور نهر آراس الى الأراضي السوڤيتية أن نجمعها في كتاب واحد حرصاً على وضعها في متناول القاريء المتتبع وزيادة في الإفادة منها.

وكما أسلفنا، فقد طرق الكاتبون الثلاثة موضوعاً واحداً، إلاّ أن كلاً منهم خص جانباً من الموضوع بالتركيز والإهتمام ماراً بالجوانب الأخرى مرور الكرام. وبهذا تكون الكتب الثلاثة مجتمعة، مادةً يمكن الإدعاء بأنها تروي ظمأ القاريء النهم وتضع أمامه معلومات وبيانات كثيرة وافية.

يسعدني وأنا واحد من پيشمرگه هذا النهج أن أوفق في ذكرى البارزاني الخالد ورفاقه لتقديم النتاج بمثابة باقة من ورود الوفاء لأرواح الخالدين الأبطال وفي مقدمتهم املا مصطفى لبارزاني وادريس البارزاني.

شوكت شيخ يزدين

٩ آب ٢٠٠١

نجف قولي پسيان

من مهاباد الدامية... الى ضفاف آراس

تمهيد

إنتهت ثورة بارزان الثانية (١٩٤٣-١٩٤٥) بتوجه البارزانيين الى كردستان إيران. فبعد محادثات مع قادة الحركة السياسية الكردية في إيران والمسؤولين السوفييت، استشار الزعيم الخالد ملا مصطفى البارزاني ورفاقه في (لجنة الحرية)(*) الشيخ أحمد البارزاني ثم قرروا التوجه الى كردستان إيران. لقد كانت أجواء الحرية المتاحة في كردستان إيران في تلك الفترة سبباً في جعلها قبلة لكل التحررين الكرد، ومن جهتها كانت الحركة التحررية الكردية هناك تتطلع الى القوات البارزانية الخبيرة بشؤون القتال، والتي أثبتت عملاً قدرتها على الثبات أمام المحتلين الطامعين، لحماية تلك الحرية وصيانتها.

كانت الإنتصارات التي حققها ملامصطفى البارزاني على القوات العراقية والبريطانية في العام ١٩٤٣ سبباً في إشتهاره في كردستان العراق بل في عموم أجزاء كردستان قائداً عسكرياً لايشق له غبار يعلق عليه الشعب الكردي الآمال العراض، ومما يشهد بهذه الحقيقة ويؤكدها الرسالة التي وجهتها إليه جمعية إحياء الكرد (ژ. ك) التي سمته (زعيم التحرر ملا مصطفى البارزاني)، وكذلك مقالة مجلة «نيشتمان» المعنية بنشر أفكار الجمعية والتي وصفته بأنه «قائد الكرد الأعظم».

عبرت جموع البارزانيين الحدود في ١١ تشرين الأول ١٩٤٥ عند نقطة كيله شين- مَرگوَر الحدودية لتدخل أراضي كردستان إيران المحررة رغم أن الطائرات الحربية العراقية والبريطانية لم تتوقف عن قصف أطفالهم ونسائهم وعائلاتهم حتى عبروا الحدود، ولما عبر البارزانيون الحدود لقوا ترحيباً حاراً ولم يدخر إخوانهم كرد إيران جهداً لتوفير كل ما أمكن من إحتياجات تكفل المعاش

(*) لجنة الحرية (هەیئەتی ئازادی) لجنة شكلت في الأول من أيار ١٩٤٥ تأسست بزعامة البارزاني الخالد من رفاقه من الضباط التحرريين وكان لها منهاجها المتكامل. للمزيد من المعلومات أنظر: مسعود البارزاني- البارزاني والحركة التحررية الكردية- ثورة بارزان ١٩٤٣-١٩٤٥، كردستان، آب ١٩٨٦، الص ٥٣ وما بعدها.

والمأوى للعائلات البارزانية. وقد أصدر القاضي محمد أوامر الى تنظيمات الحزب الديمقراطي تقضي بتوفير كل ماهو ممكن لمساعدة البارزانيين. وبعد سكنى البارزانيين في مختلف أنحاء كردستان عوملوا بكثير من التعاطف والاحترام، وكان الزعماء البارزانيون يلقون إستقبالاً على أرفع المستويات الحزبية عند زياراتهم لمهاباد فكان لهذا أكبر الأثر عليهم وجعلهم يبذلون كل ما في وسعهم لمساعدة كرد إيران.

لقي ذهاب البارزاني وقوة البارزانيين المحاربة وكذلك الضباط والمثقفين الآخرين الى كردستان إيران إهتماماً من وكالات الأنباء العالمية. وكتبت جريدة (روژا نو) التي كانت تصدر في الشام تقول: «تطرقت صحف ووكالات أنباء العالم الى مطاليب الكرد، وتفيد الأنباء أنه بعد ملا مصطفى باشا، إلتحق المقدم عزت عبدالعزيز والرائد ميرحاج والمقدم مصطفى خوشناو والمحامي حمزة عبدالله والرائد عزيز عبد الله، والرائد جلال أمين والمهندس نوري أحمد طه والرائد خيرالله عبدالكريم والرائد بكر عبدالكريم والمحامي محمد قدسي وخمسون من كبار الشخصيات والنواب والمثقفين الكرد العراقيين ومعهم ألفان من المواطنين بكرد إيران وباشروا يدعون الى استقلال كردستان.»

أستقبل البارزاني لدى وصوله كردستان إيران كزعيم للحركة الكردية في كردستان العراق وقائد شجاع ومحارب جسور وليس كزعيم للعشيرة البارزانية إذ كان الشيخ أحمد - الأخ الأكبر لملا مصطفى - رئيس العشيرة وكان يلقب بـ خوداني بارزان «أي صاحبها وراعيها».

في مبدأ الأمر وبسبب من ضغوط الإنگليز والحكومة العراقية طلب السوفييت من ملا مصطفى الإبتعاد عن الأضواء مؤقتاً فسكن البارزاني وعدد من مقاتليه قرية (ميراوا) بمنطقة سردشت وبقي الشيخ أحمد في مهاباد. ثم طلبت جمعية (ژ. ك)- التي كانت قد غيّرت اسمها الى (الحزب الديمقراطي الكردستاني) وكذلك عدد من وجهاء مهاباد من البارزاني أن يقوم بجولة بين العشائر الكردية يستطلع آراءها بشأن تشكيل حكومة كردية فبدأ البارزاني جولته بأورميه ثم توجه الى نَغَدَه فخانه وميانداواو وأشنويه، ثم عاد الى مهاباد لإطلاع المسؤولين على نتائج جولته الموفقة، وهناك بدأت المباحثات بين القاضي محمد والحزب الديمقراطي ووجهاء مهاباد والبارزاني.

في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٦ – اليوم الذي أعلن فيه قيام جمهورية كردستان – دعي البارزاني الى مهاباد لحضور إجتماع ومراسيم إعلان الجمهورية. أصبح القاضي محمد رئيساً للجمهورية وأعلن التشكيلة الوزارية. ومنُح البارزاني رتبة جنرال وعيّن مشرفاً على جيش كردستان. ومع بدء شهر نيسان بدأ توزيع الأسلحة على البارزانيين. فتم تسليح ألف وخمسمائة منهم تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٦٠ سنة وبمختلف أنواع الأسلحة بعدها تم توزيعهم على ثلاثة أفواج حسب تشكيلات الجيوش الحديثة، وأسندت قيادة كل فوج الى واحد من الضباط الكرد العراقيين الملتحقين بالجمهورية ممن كانوا قد إشتركوا في ثورة بارزان. وبقي في مهاباد من البارزانيين قوة إحتياطية قوامها سبعمائة رجل.

وكما أكدت التجارب فيما بعد، أضحت قوة البارزانيين نواة الجيش الثوري الكردستاني. وكانت معركة قاراوا أولى المعارك التي خاضها البارزانيون خلال حياة جمهورية في مواجهة الجيش الإيراني وفي تلك المعركة تحقق أول نصر عسكري في تاريخ الجمهورية. ففي أواخر شهر نيسان تمكن الفوج الأول من القوات البارزانية من دحر هجوم كبير شنه الجيش الإيراني تدعمه الطائرات والدبابات والمدافع كان هدفه إحتلال تلة قاراوا في جبهة سقز. وكانت نتائج المعركة بمثابة نكسة كارثية للجيش الإيراني الذي خسر ثمانمائة قتيل تركت جثثهم في أرض المعركة، ومائة وعشرين أسيراً. ولما ذاع خبر هذا النصر بين مواطني كردستان أقيمت إحتفالات في كل مكان وارتفعت المعنويات الى الذروة وانتعشت المشاعر القومية في كل قلب. لقد كان هذا النصر الباكورة سبباً في زرع الطمأنينة والثقة بالمستقبل بين مواطني جمهورية كردستان. وعند نقل الأسرى الى مهاباد خف سكان القرى الى الطرق المؤدية إليها للتمتع بمظاهر النصر. وبهذا شهدت جماهير كردستان إيران شجاعة البيشمرگه البارزانيين. وفي اليوم التالي زار القاضي محمد والبارزاني جبهة القتال حيث قدّم القاضي شكره للمقاتلين، وفي محضر من الزعيمين قال آمر الفوج العقيد بكر عبدالكريم: «أقولها للتاريخ أن هؤلاء الأبطال لايهابون الموت ولايبالون بحياتهم من أجل أداء الواجب الموكل إليهم، ينبغي على الشعب الكردي أن يفخر بأبنائه هؤلاء الذين لايمكن أن يخذلوه أبداً».

كان ذهاب البارزانيين ومنذ البداية مصدر قوة للحزب الديمقراطي الكردستاني والقاضي محمد، وكان حافزاً زاد من زخم التفكير في إعلان الإستقلال، والإعتقاد بأنه حتى عند إنعدام الدعم الخارجي فإن هناك قوة داخلية يمكن الإعتماد عليها للبقاء. وبهذا الصدد يقول آركي روزفلت الذي كان حينها من مسؤولي السفارة الأمريكية بطهران وزار أراضي جمهورية كردسان: «كان من المتوقع أن تؤثر معارضة البعض من رؤساء العشائر في مكانة وشخصية القاضي محمد لولا وصول ملا مصطفى والمقاتلين البارزانيين من العراق الى كردستان إيران». وكان هذا سبباً في التقدير والاحترام اللذين حظي بهما البارزاني من لدن قادة جمهورية كردستان والحزب الديمقراطي الكردستاني، فقد كان يستقبل رسمياً من قبلهم كلما زار مهاباد، وفي الحقيقة كانت جمهورية كردستان الأمل الوحيد للبارزانيين مما حدا بهم أن يقرروا الدفاع عن الجمهورية وعدم التخلي عنها مهما كانت الظروف، وهكذا كان.

وهنا يجب التذكير بأنه رغم عدم تقصير أبناء كردستان إيران عن تقديم المساعدة للبارزانيين، فإن الوضع الإقتصادي للبارزانيين كان سيئاً فلم تكن إمكانيات الجمهورية الوليدة تسمح بتوفير حياة الرخاء لهم، لكن تعوّد البارزانيين على الحياة الشاقة وضنك العيش جعلهم يرضون بحالهم، إلا أن عواهن الدهر لم تدعهم على تلك الحال ايضاً فقد أدى انتشار مرض التيفوئيد الى موت ألفي شخص من النساء والأطفال الشباب والشيوخ وكان هذا ضربة قاصمة لهم في تلك الفترة العصيبة.

في ظل تلك الظروف الصعبة ألقيت على البارزانيين مهمة الدفاع عن جمهورية كردستان، فكانوا اليد القوية التي تدافع عنها خاصة عندما تراجعت العشائر الكردية الإيرانية، الواحدة تلو الأخرى، عن تعهداتها وتملصت من واجبها لتعيد إتصالاتها مع نظام الشاه.

من المعارك الأخرى التي خاضها البارزانيون أيام جمهورية مهاباد معركة (مل قَرَني) التي ذاق فيها جيش الشاه مرارة الهزيمة مجدداً فتأكد للجيش الإيراني أن الإنتصار على البارزاني من الصعوبة بمكان ولايمكن أن يتحقق في المستقبل القريب.

لكن إنهيار جمهورية أذربيجان وهروب جعفر پيشَوَري ورفاقه، وكذلك

تفرق العشائر الكردية ونكوصها عن الدفاع عن جمهورية كردستان، كل ذلك أدى الى اتخاذ القاضي محمد قرار الاستسلام دون قتال وفي الواقع كانت تصرفات السوفييت سبباً في إحباط المعنويات، ما دفع العشائر الى الإتصال بحكومة الشاه. حدث كل ذلك رغم توجه البارزاني الى مهاباد والحاحه على القاضي محمد إتخاذ قرار المواجهة والتصدي ثم طلب منه أن لايسلم نفسه الى القوات الإيرانية معاهداً إياه بقبول واطاعة أوامره كلها لقاء ذلك، لكن القاضي محمد لم يسمع له وآثر البقاء قائلاً سأبقى هنا مع الشعب.

ومهما يكن فإن دخول القوات الإيرانية الى مهاباد والقضاء على جمهورية كردستان في ١٥ كانون الأول ١٩٤٦ كان بداية سلسلة معارك ضارية بين قوات البارزانيين الباسلة وجيش الشاه، تلك المعارك التي لازالت المصادر تذكرها بإعجاب وتتحدث بانبهار عن بطولات البارزانيين والتاكتيك العسكري الرائع الذي إستخدمه البارزاني فيها، رغم أن البارزانيين في تلك المعارك كان يرافقهم عدد كبير من النساء والاطفال ما يحتم عليهم تجنيبهم مخاطر القصف الجوي وتوفير القوت لهم والإنسحاب بهم مع ضمان عدم الوقوع في شرك العدو.

سيرد في هذا الكتاب تفصيل لاحاجة الى إيراده هنا لمحاولات السلطات الإيرانية في البداية التغلب على البارزانيين بطريق الحيلة، الا أن ملا مصطفى وأخاه الشيخ أحمد لم يكونا ليصدقا الوعود الشفاهية ويركنا الى إيران فيكونا تحت رحمتها، أو يعودا الى العراق دون شروط. إذ كانا قد اختارا طريقاً ثالثاً وهو التوجه شمالاً واللجوء الى الإتحاد السوفييتي لكن ذلك كان صعباً للغاية بسبب البرد والثلوج والافتقار الى المؤن من جهة والهجمات الجوية والبرية الإيرانية المتواصلة عليهم وعلى عائلاتهم من جهة أخرى.

تواصلت الصدامات العسكرية بين البارزانيين والجيش الإيراني من بداية شهر آذار ١٩٤٧ واستمرت حتى أواسط نيسان، أي بدءاً بمعركة (نَلُوس) الشهيرة حتى عبور عائلات البارزانيين الحدود الى العراق عبر وادي گادَر، ثم أستؤنفت المواجهات خلال مسيرة البارزاني التاريخية والتي يتطرق إليها كتابنا هذا بالتفصيل. كان الشاه قد أصدر أوامره الى مسؤولي جيشه أن «لاتدعوا البارزانيين يفلتون واقصفوا قافلتهم لتحفظوا ماء وجه جيشنا

وتلقنوا البارزانيين درساً يردعهم عن تكرار ما أتوه أبد الآبدين». لكن الذي حدث كان كما رواه د. عبدالرحمن قاسملو: «لم يتحقق ما أمر به الشاه، فقد أفلت البارزانيون، وذهبت سمعته وسمعة جيشه الى الأبد». لقد سجل البارزانيون خلال معارك تلك الفترة صفحة مشرقة من تاريخ كفاح الشعب الكردي، وملأ الجيش الإيراني صفحة حافلة بالخزي والهزائم والجرائم القمعية.

في الخامس عشر من نيسان ١٩٤٧ ودع ملا مصطفى أخاه الشيخ أحمد عند وادي گادَر حيث إصطحب الشيخ أحمد عائلات البارزانيين عائداً بهم الى العراق، وعلى الجانب العراقي من الحدود كان علي حجازي مدير عام شرطة العراق بانتظارهم وكان الشيخ أحمد قد اتصل به من قبل. أما ملا مصطفى ومعه ٥٦٠ من نخبة مقاتليه فقد اختاروا سلوك طريق المجهول. وفي ١٩ من نيسان عادوا الى خواكورك داخل الحدود العراقية عبر (نازداري داغي) وهناك تلقاهم الجيش العراقي والإنگليز بقوة ضخمة بهدف التضييق عليهم وقمعهم. وفي السادس من أيار جمع البارزاني قواته معلناً قراره النهائي بالتوجه الى الإتحاد السوفييتي، كان تحقيق ذلك الحلم بعيد المنال بالنسبة الى البعض منهم لكن البقاء في كردستان كان من المستحيلات. لقد كان قرار التوجه الى الأراضي السوفييتية قراراً شجاعاً ودليلاً على بعد النظر والحكمة التي لايمكن أن تتوفر إلا في زعيم تاريخي مثل البارزاني الخالد. كما لم يكن أمامه من سبيل لمواصلة الكفاح غير هذا السبيل.

إن هذه المقدمة المقتضبة لاتتسع للحديث عن «المسيرة التاريخية الى الإتحاد السوفييتي» ويمكن للقاريء الكريم العودة الى كتاب الرئيس مسعود البارزاني «البارزاني والحركة التحررية الكردية- ثورة بارزان ١٩٤٥-١٩٥٨» كمرجع شافٍ، وكتيب آخر أشرنا اليه في الهامش.

تفيد هذه المصادر بأن المسيرة التاريخية إنطلقت في ٢٢ أيار ١٩٤٧ من منطقة (هركي بنَجي) حيث عبروا الحدود من قرية (بيداو) على الجانب العراقي الى قرية (باي) في الأراضي التركية. وقد علم الجيش التركي بأمر هذه التحركات مبكراً فانطلقت طائراته ترصد المنطقة وتستطلع الحدود. وتلافياً لخوض مواجهة مع الجيش التركي بادر البارزاني الى المشاغلة والإختفاء الى أن تمكن في ٢٧ أيار من التوقل في جبل (سپيريز) من خلال

مضيق (آسنگرا) ورغم أن طائرة تركية لحظتهم وحاولت إقتفاء أثرهم فإنهم تمكنوا من التخلص منها ودخول الأراضي الإيرانية ليصلوا مساء اليوم نفسه الى قرية (جرمي) الإيرانية وانطلقوا منها وواصلوا المسير شمالاً حتى الثامن من حزيران عبر أراضي كردستان إيران. وقد مدَّ لهم يدَ المساعدة بعضٌ من المخلصين فيما تعرضوا للخيانة والعدوان من جانب الحاقدين في بعض المناطق.

وكان الجيش الإيراني خلال تلك الأيام يسعى حثيثاً لينتهز فرصة يوجه فيها ضربة موجعة اليهم. وقد حشد لتحقيق ذلك الهدف في (ماكو) قوة كبيرة تدعمها الدبابات والدروع والمدفعية. لقد كان البارزانيون يخوضون صراعاً من أجل البقاء، فباشر البارزاني بوضع خطة معركة هجومية شارك فيها بنفسه كمقاتل، واستمر الهجوم ثلاثة أيام من التاسع وحتى الحادي عشر من حزيران أصيبت فيه القوات الإيرانية في مقتل حيث قتل منها المئات وجرح مثلهم كما أسر البارزانيون ٢٧١ من أفراد القوة الإيرانية اطلق سراحهم بعد إنتهاء المعركة، كما غنم البارزانيون كمية كبيرة من السلاح والعتاد. وفي ليلة ١١-١٢ حزيران سيطروا على جسر (ماكو) ثم إجتازوا وادي (زنگي) ووصلوا الى قرية (هامسون) مقتربين من نهر (آراس). وفي ١٧ من حزيران عبر القسم الأول من البارزانيين برفقة الشيخ سليمان بارزاني نهر آراس ولجأوا الى الإتحاد السوفييتي. وفي اليوم التالي (١٨ حزيران) عبر البارزاني وبقية رفاقه النهر، وبذلك بلغت مسيرتهم نهايتها بعد أن قطعوا مسافة (٣٥٠) كيلومتراً، وسطروا أروع ملحمة بطولية فريدة ليس في تاريخ الشعب الكردي وحده بل وفي تاريخ عموم شعوب الشرق الأوسط. ومنذ ذلك اليوم بات اسم آراس لحناً يلهج به أبناء كردستان ويسمون أبناءهم به.

نشرت وكالات الأنباء العالمية أخبار تلك المعارك ومسيرة البارزاني ورفاقة الى الإتحاد السوفييتي ففي نشرتها الاخبارية ليوم ١٩ حزيران قالت إذاعة لندن: «في بغداد تم إعدام الضباط الكرد الأربعة لكن ملا مصطفى نجا من الفخ بأعجوبة ووصل مع رفاقة الى روسيا سالماً». وبهذا تعرف الرأي العام العالمي على شخصية ثورية فريدة ويكاد اسم الكرد لايرد الى يومنا هذا إلا مقترناً باسم ملا مصطفى بارزاني.

لقد اصبح إنسحاب البارزانيين وعبورهم نهر آراس رغم هجمات وكمائن جيوش إيران والعراق وتركيا صفحة مشرفة من صفحات التاريخ النضالي للأمة الكردية. وأضحى التاكتيك الذي أستخدم في هذه العملية موضوعاً يدرس في المدرسة الحربية بطهران.

كانت خسائر البارزانيين بالأرواح خلال تلك «المسيرة التاريخية» كما أوردها السيد مسعود البارزاني في كتابه القيّم «البارزاني والحركة التحررية الكردية- ثورة بارزان ١٩٤٥-١٩٥٨» لاتتعدى أصابع اليدين. ويؤكد رفاق البارزاني في تلك المسيرة أنه لولا براعة البارزاني في فنون الحرب وحنكته العسكرية «لما وصل الاتحاد السوفيتي منا أحد حياً حتى لو كان عددنا خمسة آلاف وليس خمسائة».

كانت أنباء عبور البارزانيين نهر آراس والبطولات التي أظهروها في مسيرتهم مصدر إعتزاز وفخر لكل الكرد. فيقول عبدالرحمن قاسملو: «لقد ثأرت المعارك التي خاضها البارزانيون لإنهيار جمهورية كردستان الى حد بعيد ورفعت من جديد معنويات الشعب المنهارة». وألهمت تلك الملحمة الشاعر الكردي الكبير پيره ميرد فأنشد قصيدة رثاء رائعة يشكو فيها عجزه عن اللحاق بذلك الركب العظيم.

***

خلال الهجوم الذي شنه جيش الشاه محمد رضا على أذربيجان وجمهورية كردستان كان نجف قولي پسيان المراسل الصحفي لجريدة «إطلاعات» الوحيد الذي رافق العمليات العسكرية خطوة خطوة كشاهد عيان وسجل ما شاهده في كتابه الموسوم «مرحباً بالموت، وأهلاً بالنكوص»، وعن سبب اختياره هذه التسمية لكتابه يقول المؤلف الذي يعرف بأنه «شاهد على نصف قرن من تاريخ إيران»: «لدى بدء إنتفاضة فرقة أذربيجان الديمقراطية كان مؤيدو الفرقة يعبرون عن توجهاتهم في صدر منشوراتهم بشعار «مرحباً بالموت، لا للتراجع» إلاّ أن أحداث شهر كانون الأول ١٩٤٥ ونكوص قادة الفرقة وفرارهم كشفت زيف ذلك الشعار فأطلقت على كتابي اسم (مرحباً بالموت وأهلاً بالنكوص)».

يتألف الكتاب، في الواقع، من مجلدين:

الأول: يحمل الاسم المذكور (مرحباً بالموت وأهلاً بالنكوص) وعنوانه «تاريخ فرقة أذربيجان الديمقراطية وحزب كومَلَه الكردستاني من فقدان كبرى المراكز العسكرية في أذربيجان وحتى إستقرار القوات الحكومية» تم نشره في كانون الأول ١٩٤٧.

والثاني: يحمل الاسم «من مهاباد الدامية... الى ضفاف آراس» وعنوانه «تاريخ المواجهات بين قوات الجيش والكرد البارزانيين من معركة أشنويه حتى وصول البارزانيين الى الأراضي السوفييتية» وتم نشره في شهر كانون الأول ١٩٤٧.

وبهدف إغناء المكتبة الكردية رأينا أن نبدأ أولا بترجمة المجلد الثاني من الكتاب لنضعه بين يدي القاريء الكردي على أمل أن نترجم مستقبلاً الأجزاء المتعلقة بجمهورية كردستان وهجوم القوات الإيرانية عليها من المجلد الأول من الكتاب.

وما ستقرأونه فيما يأتي هو سرد لوقائع المواجهات بين البارزانيين وجيش الشاه محمد رضا وأحداث مسيرة البارزاني التاريخية مع رفاقه الى الإتحاد السوفييتي كما يرويها نجف قولي پسيان.

استطاع الكاتب أن يروي بدقة حقيقة ماحدث بسبب معايشته لتلك الأحداث. ولكن يبدو أنه ساير سياسة حكومته وانجرف مع ذلك التيار في بعض المواضع ليطرح آراءاً مغلوطة عنها أو عن الحركة السياسية والعسكرية الكردية بصورة عامة، وربما يكون قد أخطأ في بعض المواضع ساهياً. لذا وجدنا من الواجب تصحيح تلك الأخطاء في تعليقاتنا الواردة ضمن حواشي الكتاب ففعلنا ذلك في مواضع معينة وتركنا لوعي القاريء وذكائه الحكم عليها في مواضع أخرى.

شوكت شيخ يزدين

٩ أيار ١٩٩٦

المراجع المعتمدة في كتابة هذه المقدمة:

كان كتاب السيد مسعود البارزاني «البارزاني والحركة التحررية الكردية- ثورة بارزان ١٩٤٥-١٩٥٨»، كردستان، كانون الأول ١٩٨٧. المرجع الرئيس الذي إعتمدته. كما أفدت من المصادر التالية:

١- من مآثر البارزاني التاريخية ١٩٤٥-١٩٥٨، المسيرة التاريخية الى الإتحاد السوفييتي، من منشورات قسم الإعلام في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني- العراق، تقديم: السيد مسعود البارزاني.

٢- د. عبدالرحمن قاسملو: أربعون سنة من النضال في سبيل الحرية، نبذة عن تاريخ الحزب الديمقراطي الكردستاني -إيران، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ١٩٨٨.

٣- جليل گاداني: خمسون سنة من النضال: نبذة تاريخية عن الحزب الديمقراطي الكردستاني - إيران، المجلد الأول.

٤- عبدالله رسول پشدري: مذكراتي، القسم الأول، بغداد ١٩٩٢.

٥- آركي روزفلت: جمهورية مهاباد الكردية، ترجمة ظاهر حمد طاهر، ١٩٨٨.

٦- جريدة روژانو، العدد ٦٣- الأثنين ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٥، مالكها ومديرها الأمير الدكتور كامران عالي بدرخان.

٧- محمد رسول هاوار: پيره ميرد الخالد، بغداد ١٩٧٠.

الفصل الأول

كردستان في أواخر العام ١٩٤٦

بعد مرور جزء حافل بالأحداث من ذلك العام واصلت القوات الحكومية الموجهة الى أذربيجان تقدمها في شهر كانون الأول ١٩٤٦[١]. لم تكن المعارك والصدامات بين جيش طهران وقوات فرقة أذربيجان الديمقراطية وحزب كۆمەلّه الكردستاني[٢] قد زالت آثارها، ظهرت ساحة قتال جديدة في المناطق الغربية من إيران على إمتداد الجبال التي تحادد الحدود العراقية الإيرانية وتربط شمال كردستان بمناطق كرمنشاه وماكو. في تلك المنطقة الحساسة إندلعت معارك ضارية بين الجيش والكرد البارزانيين، كانت ضراوتها أشد مايكون بالنسبة لتلك الحقبة الزمنية.

في تلك الأيام كانت طهران، وكذلك تبريز وأورميه وخوي ومراغه وشاپور في غفلة عن وجود معضلة تعرف «بقضية البارزانيين» تقف عائقاً في وجه إستتباب الأمن. كما أن الأنتصارات التي حققها الجيش في أذربيجان وكردستان على العصاة حالت دون شعور المواطن العادي بأهمية الواقع أو حراجة الظروف التي كان الجيش يواجهها في سبيل أداء واجبه ولم يكن المواطن يحيط بدقائق الأمور.

والذين كانوا يقطنون أذربيجان في أواسط كانون الأول ١٩٤٦ وشهدوا عودة الجيش يذكرون الإستقبال الحافل الذي لقيه الجيش من لدن مواطني أذربيجان المخلصين لإيران وتعامل هؤلاء مع قادة فرقة أذربيجان الديمقراطية. فكانوا يرحبون بالجنود والضباط ويسعون للانتقام من العصاة.

كانت تلك المشاعر السند الأقوى لقوات الجيش في مقارعة الكرد البارزانيين: كما أن إعتبار البارزانيين أجانب غير إيرانيين من قبل مواطني

(١) أورد المترجم الى الكردية جدولاً يقارن بين التقويم الهجري الشمسي الذي اعتمده المؤلف والتقويم الميلادي المعتمد عندنا، وقد أفدنا منه وحوّلنا كل تاريخ ورد في الكتاب الى ما يقابله في التقويم الميلادي للتسهيل على القارىء الكريم. (شاخوان كركوكي).

(٢) رغم أن المؤلف يورد اسم (حزب كۆمەلّه الكردستاني) في مواضع كثيرة من الكتاب فإنه لم يكن ثم تنظيم يحمل هذا الإسم. وما كان موجوداً من تنظيم فهو جمعية ژ. ك (جمعية إحياء كردستان) التي تأسست في مهاباد في ١٦ من أيلول سنة ١٩٤٣ في مهاباد ومن ذلك التاريخ بدأت كفاحها سراً حتى التحرر، ثم تشكل منها الحزب الديمقراطي الكردستاني في ١٥ آب ١٩٤٥.

المناطق التي طالها عدوانهم كان حافزاً أقوى يدفعهم الى تقديم أكبر العون للقوات الحكومية[٣].

بغية توضيح العلاقة بين القوات الحكومية والكرد البارزانيين في بداية العمليات الحربية للجيش، ولكي يطلع المواطن الكريم بصورة أفضل على الأسباب التي أدت الى المواجهات الدموية بين الجانبين، سنتطرق بالشرح الى أوضاع البارزانيين ومجيئهم الى كردستان[٤] والسكن فيها بُعيد فرض الدولة سيطرتها على أذربيجان.

في شهر كانون الأول ١٩٤٦ عندما تمكن جيش إيران بقوة تعززها المحبة من رفع راية (السيف والشمس) بألوان إيران الثلاثة بعد عام من الكفاح على مرتفعات وحدود أذربيجان وشتت شمل التنظيمات المهزوزة والتابعة لپيشَوَري[٥] والقاضي محمد، تمكن الكرد البارزانيون بقيادة سياسي معروف اسمه «الشيخ أحمد» الملقب بـ (خوداني بارزان)[٦] وبطل شجاع مثل ملا مصطفى من المسير من مهاباد الى أشنويه ثم الى نَغَدَه فالأراضي العراقية وقطنوا الأراضي الإيرانية وبهدف حماية أنفسهم من مواجهة القوات الحكومية إستقروا في المناطق الحدودية.

في تلك الفترة كانت قيادة الجيش الموجه الى كردستان والفرقة الرابعة منوطة باللواء الركن هُمايوني. وكانت عودة قوات الجيش التي يقودها الى شمال كردستان وخصوصاً الى مهاباد في ظروف خاصة. ولمعرفة ما حصل بدقة لابد من البحث في عملية إنسحاب البارزانيين وكيفية حصول ذلك الإنسحاب في ١٢ كانون الأول تزامناً مع سقوط تبريز وفرار قادة الفرقة الديمقراطية.

(٣) هؤلاء المواطنون الذين يتحدث عنهم المؤلف كانوا من أفراد بعض العشائر التي خانت العهد مع البارزانيين وصارت عميلة لنظام شاه إيران ومن قبل قد خانت جمهورية كردستان، ولم يكن القاضي محمد يثق بها أبداً.

(٤) المقصود هنا الجزء الذي ضمته جمهورية كردستان من أراضي كردستان وليس مناطق أخرى.

(٥) المقصود جعفر پيشوري رئيس فرقة أذربيجان الديمقراطية ورئيس جمهورية أذربيجان.

(٦) خوداني بارزان: صاحب بارزان.

عودة القوات الحكومية الى مهاباد

في الساعة السابعة من صباح ١٢ كانون الأول توجهت الفصائل الحكومية المدرعة، والتي كانت طليعة القوات المهاجمة، نحو منطقة (سَرا) وأطراف مهاباد، عاصمة جمهورية القاضي محمد، وقبل يوم من بدء تلك الحركات كان البارزانيون قد أخلوا المرتفعات المشرفة على سقز منسحبين الى بوكان.

إنتهى تقدم القوة المهاجمة الى (سرا) باحتجاز عدد من الأسرى والاستيلاء على كمية من المعدات في ١٢ كانون الأول، وفي اليوم التالي ١٣ كانون الأول واصل الجيش التقدم باتجاه بوكان وهناك أيضاً حصل على معدات أخرى وأسر عدداً آخر اضافة الى مخزن للمؤن. وفي ظهر ذلك اليوم وصل ما تبقى من قوات الجيش الى بوكان ثم وبناءاً على توجيهات العميد بَگلَري معاون قائد الفرقة إنطلقت بعد الظهر قوة من فرسان عشائر موكرياني وعباسي والآخرين ترافقهم ناقلة مصفحة تحت إمرة العقيد علي أكبر غفاري بهدف البحث عن البارزانيين الذين كانوا قد توجهوا الى (برهان- مهاباد) ومطاردتهم. باتت القوة ليلة في (تازه قَلا) وليلة ثانية في (برهان) وفي ١٥ كانون الأول وصلت الى (إندَرقاش) التي تبعد عن مهاباد مسافة ست كيلومترات وهناك سمعوا إشاعة مفادها أن القاضي محمد قد جمع مؤيديه في مهاباد قبل ليلتين ووزع كل الأسلحة والمؤن الموجودة في مهاباد على أتباعه والمخلصين له والمهاباديين وأن ملا مصطفى والبارزانيين نالوا قسطاً وافياً من القنابل اليدوية والأسلحة الأوتوماتيكية.

قبل دخول الجيش الى مهاباد، ودرءاً للأحداث المؤلمة وازالة مخاوف سكان المدينة توجه وفد من رجالات المدنية في ١٤ كانون الأول للقاء اللواء الركن هُمايوني قائد الجيش الحكومي الزاحف. تألف ذلك الوفد من سيد علي الحسيني وميرزا رحمت الشافعي، وهما تاجران، والشيخ حسن شمسي برهاني، من الزعماء الدينيين، وكريم آغا قوم قلاي ديبوكري، وعلي آغا قرني، وسليمان الإبن المعروف لآغا مامش من عشائر الشمال، ومام حسن المنگوري، وسيف القاضي المتحدث الخاص باسم القاضي محمد. فالتقى هؤلاء

باللواء الركن هُمايوني في معمل سكر ميانداواو في نصيركندي، وطمأن قائد الجيش ممثلي الكرد بأن ليس للحكومة نية سوء تجاه الكرد وأن قوات الجيش سوف تدخل المدينة دون عمليات فتل أو نهب أو إخلال بالأمن.

بعد ذلك إلتقى القاضي محمد ومعه حاجي بابه شيخ وبايزيد آغا گوْرك في ميانداواو بقائد الجيش وبعد أداء فروض الطاعة عادوا الى مهاباد. وهناك علم أن القاضي محمد يحول دون إرسال ملا مصطفى البارزاني لمبعوث عنه الى قائد الجيش الحكومي حتى أنه لجأ الى التهديد لمنع حصول ذلك. وكانت تصرفات القاضي محمد هذه معززة بمخاوف ملا مصطفى سبباً في رحيل البارزانيين مع عائلاتهم الى نَغَدَه وأشنويه.

كان العقيد علي أكبر غفاري ينوي احتلال مهاباد في اليوم نفسه، ١٥ كانون الأول، بمعونة العشائر التابعة له. من جهة أخرى كان زعماء العشائر قد قرروا معاقبة القاضي محمد وسيف القاضي لما إقترفاه ضد الدولة. وكان قائد الهجوم يرغب أن يقتل القاضي محمد على أيدي الذين إستجابوا لتحريضه إياهم على تحدي سيادة الدولة.

فقد كان يعتقد أن ذلك خير عقاب يعاقب به القاضي محمد. إلاّ أن الأوامر وصلت من قائد الفرقة تقضي بإيقاف هجوم العشائر عند إندَرقاش تسبقها وحدات الجيش في اجتياح مهاباد، وبهذا توقف هجوم العشائر في اليومين التاليين، ١٦ و١٧ كانون الأول، في إندَرقاش وكان دافع قيادة الجيش من وراء هذا القرار الخوف من أن دخول فرسان العشائر مهاباد قبل وحدات الجيش سيطلق يد العشائر لانتهاك القانون وارتكاب عمليات نهب وتخريب. وقد كان هذا التوجه صائباً، وبالنسبة للقاضي محمد كان يجب تقديمه الى الأجهزة القضائية لينال جزاء ما إقترفه وفقاً للقانون. على أية حال، جاءت القوة السيارة من سقز وانضمت الى وحدة فرسان لُرّستان القادمة من ميانداواو والمؤلفة من فوجي مشاة وفوجي فرسان وبطرية مدفع ٧٥ ومصفحتين. ووصلت القوة التي بلغ مجمل معداتها ٦٠٠ رمح وسيف و١٢ رشاشة برين ثقيلة ومصفحتيْن ومدفعين مع كوادر قيادته الى عاصمة جمهورية كردستان، مهاباد، في ١٧ كانون الأول ١٩٤٦.

الوضع العام

كان الوضع العام في مهاباد وأطرافها خلال تلك الفترة على النحو الآتي:

١- كان الوضع في مهاباد مشوباً بالترقب بسبب من تحركات القاضي محمد السرية والأسلحة التي وزعها على سكان المدينة، ولم يكن ممكناً التنبؤ بما ستؤول إليه الأمور.

٢- العشائر الكردية، كانت بصورة عامة مسلحة ولم يتم سحب قطعة سلاح واحدة من رجالها (وأظهرت الأحداث اللاحقة كيف أن ضعف ونفاق وجبن تلك العشائر رغم محاولتها الظهور بمظهر الموالي وجّه ضربة موجعة للجيش).

٣- تمركز البارزانيون في نَغَدَه متخندقين ومستعدين للدفاع عن أنفسهم وبحوزتهم ثلاثة آلاف قطعة سلاح ومدفعان و١٢٠ بندقية آلية ومسلحين بالقنابل اليدوية بصورة عامة.

الوضع العسكري

كان الوضع العام لجيش الدولة في تلك الفترة كالآتي:

١- كانت القوة العسكرية التي وصلت الى مهاباد، على النحو الذي أوردناه آنفاً، بعد أن خاضت مسيرة متعبة في الثلوج والبرد الشديد الذي كان يهبط الى عشر درجات تحت الصفر المئوي وفي الأمطار والأعاصير منكهة عموماً وبحاجة الى فترة من الراحة.

٢- في مهاباد، كان المعسكر قد تم تدميره بتوجيه من القاضي محمد ولم تحصل قوات الدولة على ملاذ للجنود إلاّ بشق الأنفس.

٣- كان الجنود منكهين، يعملون في ظل ظروف مهاباد الغامضة والبرد على إنشاء قواعد لهم ومتاريس للدفاع عن المدينة فقد كان الغموض الذي يكتنف وضع القاضي محمد يوحي بأنه لم يكف عن المضي في مخططاته (وكان ذلك سبباً في جعل القيادة تعامله بلطف).

٤- كان الوحل والأمطار يحولان دون الأداء المطلوب للمصفحات كما كانت

الطائرات في قواعد بعيدة عن منطقة العمليات فقد كان أقرب المطارات في سقز وميانداواو ولم يكن مطار تبريز أعيد الى الخدمة.

٥- كان الجيش القادم الى كردستان وأذربيجان منهكاً الى جانب واجباته الكثيرة في تطهير المناطق التي يمر بها وتأسيس قواعد له، وكان يفتقر الى قوة ضاربة مهيأة لنجدة الجيش في مهاباد ونَغَدَه.

٦- كان الجيش قد خسر حوالي الثلث من وسائط النقل بسبب الوحل والطرقات السيئة.

٧- أدت كثرة التنقلات السريعة من مكان لآخر والنقص في وسائل النقل الى إنخفاض كميات العتاد التي بقيت عند وحدات الجيش، وكان وصول المزيد من الأعتدة في ظل تلك الظروف يحتاج الى وقت.

٨- كانت مؤن وحدات الجيش ووقود السيارات والمصفحات تشرف على النفاد، ورغم وجود كميات كافية من القمح في مهاباد وميانداواو فإن النقص في وقود السيارات لم يكن ممكناً سدّه في ظل تلك الظروف.

أوضاع البارزانيين الخاصة

في ظل تلك الظروف كان ملا مصطفى قد تمكن ببراعة من الإنسحاب بقوات وعائلات البارزانيين الى نَغَدَه إنسحاباً منظماً، وشكّل في نَغَدَه خطاً دفاعياً من ستمائة من خيرة مقاتليه وأرسل العائلات الى أشنويه.

وقد قدّم كل العشائر الكردية، خلا عشيرة قره پاپاغ، العون لهم، وكانت العشائر تزود ملا مصطفى بالمؤن سواء طوعاً او بدافع من الخوف: وبهذا ضمن البارزانيون معاشهم في مناطق نَغَدَه وأشنويه الغنية، ولمواجهة هذه الأوضاع رأت قيادة الجيش في كردستان ضرورة القيام بالمهام الآتية:

١- طرد البارزانيين واقامة حاجز يحمي أطراف مهاباد من جهة نَغَدَه.

٢- تعزيز حماية أطراف مهاباد من القوات الموجودة فيها وخارجها، حسب الإمكانات المتوفرة في مهاباد.

٣- اللجوء الى العنف لإرهاب العشائر الكردية المسلحة وارغامها على إلقاء أسلحتها.

٤- إلقاء القبض ومعاقبة كافة المتمردين والمخربين وفي مقدمتهم القاضي محمد وسيف القاضي اللذين لم يتوقفا عن التآمر والتحريض وعلاقاتهما السرية مع البارزانيين مستمرة.

٥- ضمان الجبهة الخلفية وترسيخ مواقع الوحدات العسكرية داخل مدينة مهاباد وتوفير العتاد والذخيرة وقوات إسناد لدعم عملية الهجوم على البارزانيين.

٦- رفع مستوى اللياقة البدنية للجنود وزيادة الخيل والبغال للوحدات العسكرية.

٧- تنظيم الأمن والإستقرار، ونزع السلاح عن كافة مناطق كردستان وبالأخص مناطق سَرْدَشت وبانه (گورْك وسوسني وكَلاسي) التي لاتزال تتصرف وكأنها مستقلة.

لغرض تحقيق ما ذكرنا إنطلقت صباح ١٨ كانون الأول وحدتان إحداهما تتألف من خيالة لُرّستان تحت إمرة العقيد أنصاري، والأخرى مؤلفة من جميع فرسان عشائر المناطق القريبة من مهاباد يبلغ تعدادهم ألفاً وخمسمائة ويقودها العقيد غفاري، واتخذتا محورين الأول محور مهاباد - آخ تويله - نَغَدَه، والآخر محور مهاباد - كاريز - نَغَدَه. كما تم تكليف العقيد غفاري بمهمة التمهيد للقاء مع ملا مصطفى.

كان دور فرسان العشائر ضمن الوحدتين زيادتهما عددياً، كما أن عدم حصول هؤلاء على أية حقوق أو أجور جعلهم بمثابة خدم مجانيين فإنطبق عليهم القول المأثور. وكان دافع القيادة الى إستخدام هؤلاء طاعتهم العمياء وكذلك بهدف إشغالهم وابعادهم عن تأثيرات إعلام المعادين التحريضي. والاّ لم يكن لهؤلاء أي قيمة عسكرية ولم يحققوا في العمليات التي شاركوا فيها أي إنجاز يذكر بل أن هروبهم وانسحابهم غير المبرر كان ضربة قوية أصابت الجيش.

واصلت الوحدة العشائرية التي يقودها العقيد علي أكبر غفاري تحركها وتوقفت ليلة ١٩ كانون الأول في (كوسه كاريز). وهناك وصل پاشا أمير فلاح رئيس عشيرة قره پاپاغ من نَغَدَه حاملاً رسالة من ملا مصطفى الى العقيد غفاري، يعبر فيها ملا مصطفى عن الاستعداد لفتح باب الحوار. فوجه

قائد القوة رسالة بواسطة الرسول عينه الى ملا مصطفى يطلب منه إيفاد أحد قادة قواته الى (كوسه كاريز) للتفاوض. فتوجه پاشا خان بالسيارة الى نَغَدَه وبعد ثلاث ساعات عاد ومعه ميرحاج وهو ضابط عراقي ومن قادة قوات ملا مصطفى.

وبحسب إطلاعه على الأوضاع والصلاحيات الممنوحة له من جانب القيادة اجتمع العقيد غفاري مع ميرحاج بحضور جميع رؤساء العشائر ليظهر له أن كل هؤلاء قد باتوا يأتمرون بأمر الدولة ويطيعونها، بعدها توجه العقيد غفاري مع ميرحاج الى نَغَدَه للقاء ملا مصطفى، ولدى وصوله طلب العقيد غفاري من ملا مصطفى التوجه الى مهاباد ليلتقي قائد الفرقة العسكرية شخصياً. رفض ملا مصطفى الطلب في مبدأ الأمر، في تلك الأثناء وصل الى نَغَدَه الشيخ أحمد الزعيم الروحي والأخ الأكبر لملا مصطفى قادماً من أشنويه، وبعد مفاوضات مطولة أمر الشيخ أحمد أخاه ملا مصطفى بالتوجه الى مهاباد، فتوجه ملا مصطفى مع ميرحاج وعزت عبدالعزيز ونوري وثلاثتهم من الضباط العراقيين، وثلاثة آخرين من مؤيديه، يرافقهم العقيد غفاري الى مهاباد.

بينما كان الجيش يواجه في مهاباد المهام التي نوّهنا بها آنفاً، كان وصول ملا مصطفى إليها حدثاً ذا أثر عجيب واعتبر أعظم نصر، كما اعتبرت أركان الجيش ذلك الحدث في برقية لها أعظم إنتصار يحققه الجيش. وقد حقق مجيء ملا مصطفى الى مهاباد عدداً من النتائج هي:

١- تثبيط عزائم كل المخربين الذين كانوا يترقبون فرصة جديدة للعمل.

٢- إحباط خطط القاضي محمد الذي كان يريد إبقاء ملا مصطفى والبارزانيين كورقة ضغط لصالحه أو على الأقل إيهام الناس بأن كفّته لاتزال هي الراجحة.

٣- كان كل العشائر الكردية متردداً في أمر إلقاء سلاحها، وكانت العشائر تظن أن الدولة وبسبب من وجود البارزانيين لازالت بحاجة أليها. فغيرت رأيها وتخلت عن كل الترهات التي كانت تفكر فيها.

٤- ترسخت سلطة الجيش بصورة عامة وبدا أن الأمور باتت في صالحه بعد أن شابها الترقب والتململ.

وكان الأثر الأهم قيام الفرقة بعد ظهر اليوم التالي لزيارة ملا مصطفى الى

مهاباد بإلقاء القبض ودون تردد أو وجل على القاضي محمد وسيف القاضي وكافة المخربين في مهاباد وتقديمهم الى المحاكمة لينالوا جزاء ما إقترفوا. بينما كانت حتى أمس تعامل هؤلاء باحترام.

وصل ملا مصطفى الى مهاباد في ٢١ كانون الأول ١٩٤٦ وحضر الى مكتب قيادة الجيش وتعهد خطياً بأنه بعد ذهابه الى طهران ورفع الحظر عن البارزانيين في العراق أو منحهم حق اللجوء في إيران فإنهم سيسلمون أنفسهم ويعيدون ما بحوزتهم من أسلحة، كما وعد سراً بإعادة مدفعين من عيار ٧٥ أخذهما معه على الفور. وتم نشر البلاغ الآتي في مهاباد:

بلاغ

نعلم كافة رؤساء العشائر بلاغ والقبائل في كردستان بأن السيد ملا مصطفى البارزاني مع عدد من قادة قواته حضر في مهاباد يوم ٢٠ كانون الأول ١٩٤٦. وأقر خطياً إنصياعه ومن معه وطلب اللجوء لدى دولة شاهنشاه إيران. وسيكون المذكور مع جميع أفراد عشيرته في ظل حماية الدولة الشاهنشاهية، وسيتخذ الجيش الإجراءات الكفيلة بالحفاظ عليهم وتأمين حياتهم وحمايتهم من أى إعتداء.»

قيادة جيش كردستان(٧)

اللواء هُمايوني يتوجه من مهاباد الى أورميه

بعد التوقف خمسة أيام في أورميه، وبينما كان المؤلف يهم بمغادرة أورميه الى مهاباد، جاء الى أورميه قائد الفرقة الرابعة والجيش الموجه الى كردستان اللواء هُمايوني يرافقه فوج كامل بهدف الربط بين مهاباد وأورميه وايجاد وسيلة للاتصال بين وحدات الفرقتين الثالثة والرابعة وتعزيز معسكر أورميه. لكن مجيء اللواء هُمايوني والفوج المرافق له أسفر عن حادث مؤلم حيث تعرضت القافلة في (بالانش) القريبة من أورميه، وهي منطقة جبلية هامة

(٧) هذه التسمية تشير الى الجيش الإيراني الذي جاء لضرب جمهورية كردستان وقتال البارزانيين.

عسكرياً الى إطلاق نار شديد ومباغت من الكرد التابعين لـ زيرو ما أسفر عن مقتل جنديين.

كان سيناريو الحادث كما يلي: بينما كان هُمايوني يتفاوض مع والدة زيرو وشقيقه حول شروط استسلامهما تعرض لإطلاق نار غادر من رجال زيرو المختبئين بين الأحراش والصخور فأصيب على الفور الجنود الذين كانوا يستقلون شاحنة في قارعة الطريق فقتل إثنان وجرح ثلاثة آخرون. عندها كان قائد الفرقة في وسط الطريق وأكثر عرضة للخطر من أي شخص آخر ضمن القافلة ولو لم يتمالك أعصابه لتم الفتك بكل من في القافلة من ضباط وجنود إلاّ أن اللواء همايوني تمكن من السيطرة على أعصابه وبالتالي على الموقف وحال دون وقوع صدام تكون نتيجته إبادة فوج وتسديد ضربة قاتلة الى الجيش في ذلك الظرف الحرج. وكان تصرف قائد الفرقة (المتقاعد حالياً) الحكيم سبباً لتجنب مواجهة كانت نتيجتها الحتمية هزيمة للجيش، ولإحتجاز والدة زيرو وشقيقه كرهائن واصطحابهما معه الى أورميه.

أثار وصول اللواء هُمايوني عواطف سكان أورميه الغاضبين على الكرد وزاد من إثارة المشاعر العاطفية التشييع المنقطع النظير لجثمان الجنديين القتيلين والكلمات التي ألقيت في مراسيم الدفن. خلال اليومين اللذين مكث فيهما هُمايوني بأورميه بذل قائد الفرقة والعميد زنگنه جهوداً حثيثة للايقاع بزيرو سواء بطريق القوة أو الحيلة ووقعت صدامات عنيفة في ضواحي المدينة، لكن المؤسف أن تلك المحاولات كانت عقيمة لكون زيرو مهرباً خبيراً بمسالك المنطقة وظروفها يفيد من أبسط الفرص ومن خلال التنقل المستمر والسريع بموازاة المناطق الحدودية تمكن من الإفلات من قبضة القوات الحكومية.

من جهة أخرى كان العدد القليل لجنود معسكر أورميه وكون العشائر الكردية القاطنة بين مهاباد وأرمية وصولاً الى ماكو والحدود السوفييتية مسلحة عائقاً منع الدولة من مباشرة عملية فعالة وحاسمة خاصة وأن عملاء الأجنبي كانوا يبلغون زعماء العشائر بتعليماتهم عن طريق الرسل واللاسلكي، ومن خلال رفع معنوياتهم وتحريض البارزانيين أعاقوا تثبيت دعائم الإستقرار في المنطقة.

نتيجة لتلك الظروف، وبعد المباحثات التي جرت في أورميه بين اللواء

هُمايوني والعميد زنگنه، قرر قائد الفرقة الرابعة في ليلة ٢٨ كانون الأول العودة الى مهاباد للتعرف على أحوال البارزانيين عن كثب.

ولكي أتمكن من تزويد جريدة (إطلاعات) والرأي العام بالمزيد من المعلومات والتعرف على حقيقة المعوقات التي واجهت الجيش في كردستان، ودّعت في اليوم التالي زملائي الصحافيين ورافقت اللواء هُمايوني والعقيد حاجي أنصاري الى مهاباد. وقطعنا المسافة التي تزيد على ١٨ فرسخاً بشق الأنفس فقد كان الثلج يغطي الطريق كما كنا نفتقر الى الأمان والهدوء والحماية اللازمة وهي أمور جعلت من قطع تلك المسافة أمراً عسيراً.

بعد إجتياز (بالانش) ومرتفعات (شيرين بلاغ) جاء (طه هركي) رئيس عشيرة هركي وأحد رجال السوء في المنطقة، للقاء قائد الفرقة وقدم نفسه فأمره اللواء هُمايوني أن يترك ما دأب عليه في السابق ويساند الجيش ووعده بأن الدولة ستعفو عن سوابقه إن هو سلم فوراً أسلحته الى معسكر أورميه.

وجدتُ مهاباد ووضع الجيش فيها على حال لم يسبق أن وجدت في المناطق الأخرى مثل تبريز وأورميه ومراغه وخوي وأردبيل وبقية المناطق، ففيها لم يلق الجيش الترحيب والمشاعر الودية من السكان كما لم يكن الضباط والجنود مرتاحي البال. ومع هذا فليس من المبالغة في شيء القول أن تصرفات القيادة والضباط في مهاباد تجاه السكان كانت أفضل بكثير من تصرفاتهم في المناطق الأخرى من أذربيجان. كان الكرد ينظرون خلسة نظرات غير مطمئنة الى الجنود الذين كانوا بدورهم يتعاملون مع الأهالي بارتياب، فقد كان الكرد داخل المدينة وفي ضواحيها مسلحين، والبارزانيون كانوا متخندقين على مسافة ثمانية فراسخ منها، وكانت الأحاديث كلها تدور حول هجوم مرتقب للبارزانيين وانتفاضة داخل المدينة.

في تلك الأثناء كان القاضي محمد رئيس حزب كوْمهلّه الكردستاني وأخوه سجينين في طهران، وكان المعارضون للحكم يأملون حدوث تغير سريع تكون نتائجه في صالح الكرد، من جهة أخرى كان القاضي محمد مطلعاً حكيماً وخبيراً بشؤون الدنيا، حظي بسطوة ونفوذ واسع خلال سنة من حكمه بخلاف پيشَوَري وقادة فرقة أذربيجان الديمقراطية، وبسبب إنحداره من عائلة ثرية مرموقة لم يتصرف خلال فترة رئاسته الجمهورية أي تصرف يسيء الى السكان

أو يثير حفيظتهم لذا لم يكرهه السكان، كما أنه لم يهرب من المدينة ولم يكن من الحكمة أن تقضي الدولة عليه في تلك الفترة الحرجة فهو الى جانب موقعه السياسي كان يتمتع بمكانة دينية مذهبية.

ومن الأمور الأخرى التي كانت تضغط على الحكومة سياسة السوفييت في كردستان، فبينما كانت سياسة الدولة الروسية في أذربيجان تقوم على مساندة الفقراء ضد الرأسماليين، كان الروس في هذه المنطقة يسعون الى تحقيق نفوذ لهم دون إثارة حفيظة سكان كردستان الشديدي التمسك بالدين فلم يأتوا أبداً على ذكر البلشفة والمساواة في الدخل وتوزيع الثروات بل ساندوا الزعماء القبليين وحرضوهم على الدولة من خلال تأجيج الرغبة في الإستقلال والحديث عن ضرورة قيام جمهورية مستقلة في كردستان وبهذا استقطبوا الأنانيين والدنيويين الى جانبهم.

إن أوضاع الجيش الحرجة في المدينة، حيث كانت قواته تعاني شبه حصار، وكانت هذه القوات تسارع في التخندق، أثارت فيّ مشاعر الفضول والدوافع الصحافية في الكشف عن الحقيقة ورفع الستر عن مدى جدية التهديدات ومصادر الإضطراب، فسعيت الى اللقاء المباشر مع البارزانيين بهدف جمع معلومات مفيدة عن الوضع والتقدم في عملية تحسين العلاقات بين قوات الدولة والبارزانيين والتي كانت قد ساءت الى أبعد حدّ حتى بات الصدام متوقعاً في كل لحظة.

بعد التباحث مع قيادة قوات كردستان والعقيد فيوضي رئيس أركان قوات الدولة في المنطقة وشرح نواياي لهم، سلكت قبل غروب شمس يوم الاثنين الطريق المؤدي الى نَغَدَه ودَهْنَه وأشنويه على ظهر شاحنة عسكرية محملة بالمؤن. كانت السماء تمطر مدراراً يذيب الثلج الكثيف الذي غطى الطريق. وكان طريقنا يمر في حقل لزراعة البنجر تحول بسبب المطر الى بحيرة من الطين. لا أدري هل أن شاحنة الجيش المتهرئة تملكها الخوف من البارزانيين أم أن عمرها انتهى فقد كانت تتوقف بين الحين والآخر فكنا مع الجنود والمدنيين نخرجها من الوحل. بعد كل هذه المتاعب وصلت الشاحنة الى دَهْنَه في السادسة مساءً، وهناك كان يتخندق فوج خيالة لُرّستان بقيادة العقيد حاجي أنصاري وكانت هذه القوة الخط الأمامي المكلف بحماية مهاباد. وبسبب سوء

حالة الطرق اضطررنا الى المبيت في دَهْنَه: وفي الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء بدأنا رحلتنا الى نَغَدَه حيث الطريق خالٍ تماماً من أي أثر للجنود لدرجة أن عشيرة قره پاپاغ كانت تتولى حماية قسم من الطريق.

عشيرة قره پاپاغ من العشائر التي نزحت الى إيران بعد هزيمة الأخيرة أمام روسيا القيصرية والتوقيع على معاهدة (تركمان چاي) وتعرف العشيرة بهذا الاسم نسبة الى القبعات الجلدية السود التي يضعها رجالها على رؤوسهم. ورجال العشيرة اشتهروا بالجرأة والشجاعة وعشيرتهم هي الوحيدة التي تقطن وسط كردستان ويتحدث أبناؤها التركية. ويسيطر هؤلاء على ثلاث وخمسين قرية من قرى كردستان .

وصلت نَغَدَه في الساعة الثانية عشرة، وكان رجال تلك العشيرة قد عرفوا مقدمي عن طريق أجهزة الهاتف الميدانية فكان فرسانهم يقفون على جانبي الطريق لإستقبالي. كان زعيم العشيرة في البلدة يومها هو (قوليخان بزچلو) رجلاً شهماً موالياً للشاه ويكرم الضيف، فألقى كلمة ترحيبية لدى وصولي، ولم أسجل هنا ما ورد فيها تلافياً للإطالة، ثم ذبحوا الذبائح، ولكوني أول صحافي يزور مناطق عشيرتهم فقد بولغ في إستقبالي. وجواباً على ترحيبهم أطلعتهم على عطف الشاه ودعمه لقواتهم، وأبلغتهم بأن الحكومة ستبذل اللازم لحمايتهم من البارزانيين وطرد تلك العشيرة من أرض إيران وستظهر قريباً نتائج العمليات التي بدأها الجيش.

في الحقيقة كانت أوضاع العشيرة صعبة في تلك الأيام، إذ أن البارزانيين جاؤا في ربيع ١٩٤٦ بحوالي ١٦٠ من عائلاتهم يبلغ تعدادها ١٧٠٠ شخص الى قرى قره پاپاغ واستقروا بها مما اضطر القره پاپاغ الى توفير كمية معينة من القمح وثلاثين ريالاً لكل واحد من هؤلاء، كما توجب عليهم تقديم العلف لدوابهم وايجاد المأوى لهم، ولا حاجة هنا الى التذكير بأن قوة البارزانيين مضافاً اليها غياب القوات الحكومية عن المنطقة لم تدع للقره پاپاغ خياراً سوى الاستسلام.

في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم ذاته غادرت نَغَدَه متوجهاً الى أشنويه قاصداً لقاء الشيخ أحمد البارزاني المعروف بلقب (خوداني بارزان) فهو الأخ الأكبر، والزعيم الديني وموحّد العشيرة البارزانية. في الطريق أعترض

البارزانيون مرات سبيل الشاحنة وبعد التأكد في كل مرة من عدم وجود جنود معنا وأننا جئنا لإجراء مقابلة كانوا يأذنون لنا بمواصلة المسير. ومن المؤسف أن إجازة البارزانيين لم تكن وحدها كافية فقد كانت الطبيعة بدورها تعيق مسيرنا باستمرار.

كان الثلج يسقط بشدة وكانت الشاحنة تعلق في الطين باستمرار في الطريق العتيق على الحدود الإيرانية العراقية، أخيراً ولما علقت الشاحنة نهائياً في الطين، في الساعة الخامسة والنصف مساءً، اضطررنا فراراً من البرد وتحاشياً للمبيت في العراء الى السعي الى أقرب قرية. يذكر أنه باقتراح من قوليخان قره پاپاغ فإن اثنين من القره پاپاغ وسبعة من البارزانيين رافقونا في رحلتنا كأدلاء وحماية.

قال البارزانيون يجب أن نبيت الليلة في الشاحنة ونبدأ المسير في الصباح بإتجاه أشنويه، لكنني تمسكت بموقفي وضرورة أن ألتقي الشيخ أحمد في تلك الليلة حيث أن الإفتقار الى الغذاء والأمان كان يجعل مبيتنا في ذلك الجو البارد في شاحنة وفي العراء أمراً صعباً للغاية. أخيراً توجهنا الى قرية قريبة اسمها (گورگ آوا) بحثاً عن الدفء، في الواقع لم تكن القرية مأهولة بل كانت مجرد ركام وخرائب لكننا تمكننا من العثور على سقف قائم يقينا البرد والمطر. قطعنا المسافة في الشاحنة الى گورك آوا بشق الأنفس فالأرض المحروثة كانت قد صارت بسبب من الأمطار والثلوج وحلاً وطيناً يصعب جداً المسير فيه.

في الساعة السادسة والنصف مساءاً وصلنا گورگ آوا - منهكي القوى كان المطر لايزال يتساقط وكان على المرء السير عشرة كيلومترات أخرى ليبلغ أشنويه. بعد أن نلنا قسطاً من الراحة كان المطر قد توقف فقمنا بالاستعداد للمسير الى أشنويه ولقاء الشيخ أحمد البارزاني واستأنفنا مسيرتنا. كان جزء من طريق گورگ آوا - أشنويه معبداً وهو جزء من الطريق الحدودي الذي سلكناه لذا استطعنا التقدم بسرعة أكبر تحت الثلج، وفي الساعة ٨,١٥ مساءاً لمحنا بصيص نور في ذلك الظلام المرعب، كان الضوء جاذباً. كان الشعور بالإقتراب من أشنويه وانتعاش الأمل بقرب تحقيق هدفنا من الرحلة لم يكتمل عندنا تماماً عندما إرتفعت في الأجواء أصوات نباح الكلاب واطلاق

نار دون سابق إنذار لتسمرّنا في مواقعنا حائرين لاندري ما نفعل.

كان مصدر إطلاق النار قريباً، وكان قصر المسافة وشدة الظلمة سبباً في إضاءة مساحة صغيرة بنار البندقيات. حاول القره پاپاغيان اللذان كان معنا الرد عليى النار بالمثل إلاّ انني مع من كان معنا من البارزانيين منعناهما.

كنا قد غرقنا في الوحل من قمة الرأس الى أخمص القدمين وملابسنا مبللة تماماً، نرتجف من البرد والخوف من المجهول، تقدم أحد البارزانيين الذين كانوا معنا، وهو ضابط برتبة ملازم ثانٍ في الجيش العراقي، بضع خطوات وأسمع المهاجمين كلمات بالكردية ربما كانت كلمة سرّ بين البارزانيين فتوقف إطلاق النار وبعد قليل ظهر خمسة عشر بارزانياً مسلحين ببندقيات أتوماتيكية يحملون فانوسين، وجرت محادثة قصيرة بينهم وبين من كان معنا من البارزانيين. ثم أرشدونا الى طريق أشنويه ووجوههم مقطبة تبدو عليها علامات القلق والشك.

في تلك الليلة الليلاء وبسبب من الظلام الذي كان يلف تلك المدينة الحدودية المهمة والمطر الشديد لم يكن أحد ليجرؤ على الخروج من بيته حتى ولو كان ثم دافع قوي. لكن الضباط والجنود البارزانيين كانوا في حركة دائبة يراقبون كل مداخل المدينة وما يحيطها من مرتفعات متأهبين للرد على أية هجمة مباغتة قد تتعرض لها المدينة. ومع أني سآتي على وصف الروح العسكرية للبارزانيين فلا أجد بأساً في أن أقول هنا: لم يكن البارزانيون خاملين بخلاف العشائر الإيرانية. بل كان الحرس البارزانيون يقضون الليل بطوله في الثلج والمطر دون أن يغادروا مواقعهم ويرتاحون نهاراً في حين أن العشائر الإيرانية اعتادت الخلود الى الراحة والالتجاء الى بيوتهم ليلاً وحراسة مواقعها نهاراً، وبذلك لم تكن تلك العشائر قادرة على خوض مواجهات ليلية كما كان بالإمكان خرق استحكاماتها نهاراً.

سبب مجيء البارزانيين الى إيران

قصة البارزانيين ومواجهاتهم مع الحكومات المجاورة لإيران

دخلت قاعة يحيطها ويحرسها ضباط بارزانيون مسلحون، وعلى الفور تبيّنت رجلاً ضخم الجثة دخل علينا وهو يرتدي معطفاً طويلاً وذو لحية يخالطها الشيب، تبدو من سحنته علائم زعامة معنوية ورئاسة عائلة، دخل القاعة من الباب المقابل. فهمس الكردي الذي رافقني الى القاعة وهو من عشيرة قره پاپاغ وكان يقف خلفي قائلاً: «الشيخ أحمد البارزاني، خوداني بارزان»، لا أستطيع وصف الشعور الذي تملكني لما تمعنت في ذلك الرجل وجعلني أخالف المعهود وأنسى إلقاء التحية.

وفعل هو المثل فلم ينبس ببنت شفة. نظرنا الى بعضنا لحظات نظرات فاحصة، ثم وكأننا صديقان، إحتل كل منا كرسياً يواجه الآخر. كانت ملابسي مبللة والطين يغطي حذائي وبنطالي.

تطلع الشيخ أحمد حواليه، ثم عّرفني بنفسه على أنه الأخ الأكبر لملا مصطفى ويتزعم عشيرة بارزان ويبلغ الخمسين وطلب إليّ أن أعرّفه بنفسي، ففعلت بكل أدب مع تمني خلاص البارزانيين من تلك الأوضاع السيئة التي يعانونها والرجاء بأن تنجح وساطة الحكومة الإيرانية في إصدار قرار عفو من جانب المسؤولين العراقيين فيعود البارزانيون الى ديارهم وينجوا من حياة المنافي. وقبل أن يدلي الشيخ أحمد بردّه استدركت فقلت أنه بهدف القضاء على كل سوء تفاهم لابد أن يلتزم البارزانيون بوعودهم حيث تعهد ملا مصطفى في مهاباد بتسليم مدفعين الى مسؤولي الجيش في أقرب وقت والجلاء عن نَغَدَه.

وافق الشيخ أحمد على الشق الأول وقال إن المدفعين في قرية (نَلوس) وستتم إعادتهما قريباً، لكن الجلاء عن نَغَدَه غير ممكن الآن فمن المحال تجميع خمسة عشر ألف إمرأة وطفل وشيخ في أشنويه وتوفير أسباب الحياة لهم هناك. وعندما أبلغت الشيخ أحمد بأنه ليس في نية جيش الحكومة قتال البارزانيين نهض قائماً وأخرج من جيبه مصحفاً قدّمه إليّ طالباً أن أقسم على

المصحف بأن هدفي ليس سوى العمل من أجل خير الشعب الإيراني، ففعلت وكلّي ثقة بأني صادق.

بعد أن إطمأن الشيخ أحمد الى صدق قولي، قال: أبلغ الحكومة الإيرانية ومسؤولي الجيش أنني أقسم بأننا لانريد قتالهم ولانفكر في معاداتهم، وقد قلنا الشيء نفسه للحكومة العراقية لكنها لم تسمع لنا. ونقول لكم ليس عندنا مطامع في إيران لكن بما أننا كرد فإننا نعتبر أنفسنا إيرانيين واذا رفضت الحكومة العراقية السماح بعودتنا فنحن مستعدون للسكن في ضواحي طهران أو أي مكان تحدده الحكومة الإيرانية ونصبح مواطنين إيرانيين.

في تلك الأثناء كان ملا مصطفى في طهران لإجراء مباحثات وبعث طول مكوثه هناك القلق في نفوس البارزانيين. إذ كان قبل سفره الى طهران قد قال: اذا لم أعد بعد عشرة أيام استعدوا لقتال القوات الحكومية. وكانت المدة التي حددها قد إنتهت.

صب الشيخ أحمد جام غضبه على الظروف التي دفعت العشيرة البارزانية في ١٩٤٥ للمجيء الى تلك المنطقة، في غياب القوات الحكومية عن كردستان بسبب أحداث تلك الفترة، وعلى المشكلات التي تعرضوا لها وعبر عن أمله في نهاية لسوء الفهم. وأعلن الشيخ محمد صديق والشيخ بابو، شقيقا الشيخ أحمد وهما أصغر منه وأكبر من ملا مصطفى، في تلك الجلسة أن القاضي محمد إتهم الشيخ أحمد وأبلغ السوفييت في الشتاء الماضي بأن الشيخ أحمد تربطه علاقة بالإنكليز مما دفع السوفييت الى طرد الأخير من مهاباد واجباره على الإقامة في (شَيْتاناواي دول). تحدث الأخوان بصراحة أكبر وأقسما بان الدكتور ملكومي الآشوري وهو واحد من مجرمي أورميه المعروفين وكذلك الضباط الإيرانيون والسوفييت يعلمون بأن كل حوادث السلب والنهب كان ينفذها زيرو ونوري بگ[٨]. وكان القاضي محمد يصدر أوامره إلينا مراراً بالإغارة على عشيرتي مامش وقره پاپاغ ونهب ممتلكاتهما – لكن حبنا للكرد كان يحول بيننا وبين تلك التصرفات.

في الساعة العاشرة من الليلة عينها، وبعد أن تسلمت من الشيخ أحمد

(٨) يصف الشاعر المعروف (هيمن موكرياني) زيرو بهادري باللص وقاطع الطريق. أنظر مقدمة ديوانه الشعري الموسوم (تاريك و روون).

قائمة بالمؤن التي تحتاجها عشيرة بارزان، غادرت أشنويه متجهاً الى مهاباد. وسلكت الطريق الصعب نفسه لكنني قطعته في زمن أقل حيث كانت الأرض قد تجمدت وكان سير الشاحنة على الجليد أسهل من سيرها في الطين والوحل.

قبل أن ننتقل بالقاريء الكريم الى طهران لإطلاعه على مجريات مباحثات الحكومة مع ملا مصطفى، نروي له تاريخ عشيرة بارزان وكيفية مجيء البارزانيين الى إيران:

البارزانيون من العشائر القوية في العراق، وتقطن العشيرة الجزء الجبلي المحاذي للحدود الإيرانية من منطقة أربيل العراقية، قبل الحرب العالمية الثانية وفي فترة السلم لم تواجه هذه العشيرة أحداثاً ذات شأن تلفت أنظار التجمعات السياسية أو الإجتماعية، إذ كانت تمارس حياتها العشائرية في سلام. وطوال تلك الفترة كان زعماء هذه العشيرة المنفيون الى السليمانية والناصرية والحلة والديوانية وكركوك يترقبون وهم تحت الرقابة والإقامة الجبرية حدثاً بارزاً. وبعد إثنتي عشرة سنة من الإبعاد إندلعت ثورة رشيد عالي الگيلاني في العام ١٩٤١ فكانت فرصة سانحة للإفلات من العيون والمراقبة فعاد أولئك الى مواطنهم وارض الآباء.

وفور عودتهم باشروا جمع من تفرق شملهم من رجالهم وتوفير السلاح والعتاد. منتهزين أوضاع العراق الفوضوية وبتشجيع من أشخاص من الخارج واخرين مسؤولين في الدولة أعلنوا مطالبتهم بالحكم الذاتي لكردستان العراق. وأدى ذلك الى الهجوم العسكري عليهم ثم هزيمة الجيش العراقي مما أضطر الحكومة الى الرضوخ لجزء من مطاليبهم، لكن المنتفضين ثاروا مجدداً بعد زمن قصير يطالبون بالحكم الذاتي. أما ملا مصطفى وكان أكثرهم شعبية وقدرات فقد إنتخبه رؤساء العشائر زعيماً للحركة. وخاض مفاوضات مع الحكومة العراقية، وكان يلقى الترحيب والحفاوة في كل تجمع ونال تعهدات من الجميع ببذل كل العون فكان ذلك نصراً جيداً للحركة.

في ١٩٤٥، أقيلت الحكومة العراقية، واستبدل كل الوزراء المتعاطفين مع الحركة بخصومٍ لهم في مناصبهم والوظائف الحكومية العليا. كما تم تغيير المسؤولين في الخارج ممن لم يكونوا يعارضون حصول الكرد على الحكم الذاتي وحل محلهم أناس يخالفونهم الرأي تماماً. فكانت نتيجة هذه التغييرات

معارضة قوية للفكرة ودعوة الى القضاء على الثائرين، وبدأ الجيش العراقي هجماته التي أسفرت عن هزيمة للبارزانيين فطلب ملا مصطفى لقاء مسؤولي الدولة لكنه قوبل في اللقاء بطلب مغادرته العراق. وقد ذكر ملا مصطفى أن مطاليبه لم تجد من يسمعها، وبسبب من ذلك وتردي الأوضاع في إيران وغياب سلطتها المركزية عن المنطقة الكردية توجه البارزانيون الى الأراضي الإيرانية ودخلوها في تشرين الأول ١٩٤٥[٩].

عند وصولهم الأراضي الإيرانية وبسبب من إنعدام سلطة القوات الإيرانية في الجزء الكردي من مهاباد وأطراف أورميه لم يكن بمستطاع الحكومة الإيرانية وضع شروط وبرنامج خاص لقبول تواجد البارزانيين على أراضيها. وبما أن البارزانيين اجتازوا الحدود الإيرانية دون عائق ووجدوا سلطة الدولة قاصرة فقد انضموا الى القاضي محمد الذي كان يطالب بحكم ذاتي لكردستان إيران ولم يتوانوا في أداء أية مهمة يكلفون بها، وعملوا بجد واخلاص من أجل تحقيق أهداف حزب كوّمهلّه وشاركوا في نشاطات إقليمية في ضواحي سقز وقاتلوا الجيش الإيراني.

ودامت هذه الأوضاع مع وجود مادعي بالحكم الذاتي لأذربيجان. ونالت هذه العشيرة في ضوء تطلعات القاضي محمد وبعيداً عن السلطة المركزية الإيرانية نوعاً من السلطة. وتعيش هذه العشيرة على الرعي، وقد أدت حياة الرعي والتنقل بحثاً عن الكلأ الى ظهور رجال أشداء في صفوف هذه العشيرة، وقد كان الجميع شجعاناً مسلّحين عموماً، يألفون السلاح منذ الطفولة فكانوا بارعين في الرماية والفروسية وتحمل الصعاب والمسير في الجبال والوديان.

يرأس هذه العشيرة الشيخ أحمد البارزاني وأخوه ملا مصطفى، ويتبع أبناؤها المذهب السني وهم متشددون دينياً ويثقون ثقة مطلقة في رؤساء عشيرتهم وشيوخ الطريقة. وكان الشيخ أحمد شيخ الطريقة وهو من كبار أئمة أهل السنة ويلقبونه (خوداني بارزان: صاحب بارزان).

الشيخ أحمد هو إبن للشيخ محمد وله من الأخوة ثلاثة: ملا مصطفى وشيخ بابو والشيخ محمد صديق. وملا مصطفى هو أبرز هؤلاء الأخوة يليه الشيخ

(٩) وصل البارزانيون أراضي كردستان الإيرانية في ١١ تشرين الأول ١٩٤٥.

محمد صديق. ومن بين كل رجال عشيرة بارزان فإن الشيخ أحمد هو الوحيد الذي لايحمل معه سلاحاً ويلتزم الجانب المعنوي في حين أن رجال عشيرة بارزان مسلحون قاطبة.

وملا مصطفى رجل متوسط القامة متناسق الجسم حنطي البشرة، ذو جبهة عريضة وعينين واسعتين وحاجبين منتظمين، تجتمع فيه صفات الشجاعة والإقدام والهمة. يجيد من اللغات الإنكليزية والعربية والتركية والفارسية. قاتل الحكومات الإنكليزية والعراقية والإيرانية أكثر من ١٧ سنة وشهد وشارك في العديد من المعارك الضارية.

قبائل البارزانيين

يمكن تقسيم البارزانيين الى أربع قبائل:

١- بَروژي: يقطنون بارزان وأطرافها وهم من أقارب ملا مصطفى.

٢- شيرواني: يتمتعون بصفات الشهامة والشجاعة يرأسهم محمد آغا ميرگسُوري وسعدالله بگ، يقطنون الأجزاء الشرقية من منطقة بارزان شمال نهر الزاب الكبير.

٣- مزوري: يقطنون غرب بارزان ورئيسهم هو أسعد خوشَوي وقد قتل أخوه مصطفى خوشوي في معركة مامش بمنطقة سقز في ٥ حزيران[١٠].

٤- دولومَري: ورئيسهم هو محمد أمين ميرخان، يقطنون جنوب غرب بارزان، اي جنوب موطن مزوري وغرب رواندز.

يتمتع أفراد هذه القبائل بالقوة الجبلية والشجاعة. وبفضل حكمة ووعي زعمائهم في مواجهة الجيش العراقي إختاروا راغبين خدمة العلم[١١]، وتعلم كثير منهم فنون الهندسة العسكرية والمدفعية والدبابات والمصفحات وأساليب المواجهة والدفاع عن النفس. وفيما يلي شرح موجز للعمليات العسكرية التي نفذها البارزانيون في مواجهة جيوش العراق وتركيا والإنكليز:

(١٠) الشخص الذي استشهد في المعركة المذكورة هو خوشوي إبن خليل خوشوي وهو شاب في التاسعة عشرة وحزن البارزانيون لاستشهاده: أنظر: مسعود البارزاني – ثورة بارزان ١٩٤٥– ١٩٥٨، الص ٢٣–٢٤.

(١١) الحقيقة هي أنهم لم يقبلوا بخدمة العلم.

مواجهات البارزانيين مع جيش العراق والإنگليز وتوجه ملا مصطفى الى تركيا

١- في العام ١٩٣٠ عندما طرد الأتراك الآشوريين من تركيا كان في نية الإنگليز توطين الآشوريين المرحلين في منطقة بارزان. وكانت هذه نية مرفوضة عند البارزانيين ولم يكونوا مستعدين أبداً لقبول الفكرة إذ كانوا يعتقدون أن مجيء أولئك الناس الى أرضهم سيؤدي الى الإختلاط بهم والتعايش معهم مما يقلل من قدرهم ويحط من مكانتهم. لهذا السبب بدأت الحرب بين الآشوريين والبارزانيين وبتعبير أدق بين البارزانيين والحكومة العراقية المدعومة من الإنگليز. لكن النقص في وسائل الحرب اضطر شيوخ بارزان الى الإنسحاب الى تركيا.

في الأخير، أصدر الجيش العراقي والإنگليز عفواً عاماً عن البارزانيين وبهذا وافق الأتراك على إعادة البارزانيين الى العراق. ومع وصول البارزانيين الى الموصل قام العراقيون بوضع ملا مصطفى وعدد من شيوخ بارزان وأتباعهم رهن الإقامة الجبرية ثم نفتهم الى الناصرية. واستمر إبعادهم إحدى عشرة سنة قضوا أربعاً منها في الناصرية والحلة والديوانية ثم كركوك، وسبع سنوات في السليمانية. كان مجموع عدد المبعدين (٨٦) ومن بينهم الشيخ أحمد الأخ الأكبر لملا مصطفى. وخلال فترة تواجده في السليمانية أقام ملا مصطفى صلات مع المعارضين الكرد هناك، حيث صاغ معهم واتخذ قراره بشأن مستقبل ثورته وأخيراً ومن خلال التعاون مع هؤلاء تمكن في ١١ حزيران ١٩٤٢ من الهرب مع اثنين من البارزانيين من پينجوين الى سردشت ثم بانه فلاهيجان فمهاباد ومن ثَمَّ عاد الى بارزان[١٢].

(١٢) خرج البارزاني الخالد من السليمانية بصحبة رفيقيه مصطفى عبدالله و سليمان سوره في ١٢ تموز ١٩٤٣، وعادوا الى بارزان عبر الأراضي الإيرانية – وقد ساعده على ذلك المرحوم الشيخ لطيف بتوجيه من والده – الشيخ محمود الحفيد – وبمعونة مناضلي حزب هيوا.

ملا مصطفى يهرب من المنفى ويستأنف مواجهة القوات العراقية

٢- في العام ١٩٣٣ عندما كان ملا مصطفى منفياً نزع الجيش العراقي سلاح جميع البارزانيين. ولمّا هرب ملا مصطفى من المنفى بصحبة رفيقيه مامند مسيح وميرزا آغا رشو، كان معهم ثلاث قطع سلاح من نوع (ماهوزَر) الإنگليزية وفور وصوله الى بارزان استخدم البندقيات الثلاث في نزع سلاح مركز شرطة (شانَدَر) فغنم (١٣) بندقية. بعد ذلك كتب الى المسؤولين الحكوميين المتواجدين في منطقة بارزان موضحاً لهم أنه لم يعد الى بارزان للتمرد أو القتل أو السلب بل لضمان حياة آمنة في المنطقة.
ومع ذلك فقد باشر في الوقت نفسه التمرد على الحكومة العراقية وبعد الاستيلاء على أسلحة مركز شرطة شاندر توجه الى منطقة بارزان فوج من الشرطة العراقية تعداده (٥٠٠) شرطي لإسناد المركز واقتفاء أثر ملا مصطفى، لكن قبل وصول الفوج كان ملا مصطفى مع (١٣) من أتباعه المسلحين من إحتلال مركز (خيزَروك) ايضاً وبأسلوب مثير للعجب سنورد تفصيله فيما يأتي.

حادث الإستيلاء على مركز خيزروك أو مأثرة رائعة لملا مصطفى

دخل ملا مصطفى المركز مع سبعة من مسلحيه وكان على علم بأن (٥٠٠) شرطي سيصلون لنجدة المركز قريباً، أما الستة الباقية من المسلحين الثلاثة عشر فقد تخندقوا في شعب قريب من المركز ليخبروا ملا مصطفى بوصول النجدة دون أن يكشفوا موقعهم. تمكن ملا مصطفى من أسر (٣٠) شرطياً كانوا موجودين في المركز وانتزع منهم أسلحتهم قبل وصول النجدة وارتدى هو وأتباعه بزات الشرطة.

عند انتصاف الليل وصل فوج النجدة وأبلغ المتخندقون الستة ملا مصطفى بوصوله فاتخذ ملا مصطفى ورجاله مواقعهم. توجه قائد الفوج الى باب المركز، ونادى بالعربية: «إفتح الباب يا مدير المركز». كان ملا مصطفى يجيد العربية فرد عليه أن مدير المركز لم يفوضه صلاحية فتح باب المركز وأنه عند عودته سيفتح لهم الباب. وهكذا اضطر الفوج الى المبيت في العراء وعند الفجر باغتهم البارزانيون من جهة المركز ومن جهة الشعب في آن واحد وفتحوا

النار عليهم بكثافة مما أربكهم ولم يتمكن إلاّ نفر قليل من الفرار وبهذا حصل ملا مصطفى على كمية كبيرة من السلاح في زمن قصير جداً.

هذه العملية وشجاعة ملا مصطفى استقطبت اهتمام التجمعات السياسية والعسكرية العراقية وركزتها على بارزان، وبالأخص إهتمام حزب (هيوا) المشكل حديثاً في العراق وهو حزب ذو تفكير تخريبي، أو (تحرري) كما يحلو لهم وصفه، فشرع هذا الحزب يساند تحركات ملا مصطفى ويقيم روابط معه، واستغل عدد من ضباط الجيش العراقي الذين كانوا موضع شك من جانب الجيش والحكومة العراقيين، الفرصة لتحقيق غايات غير مشروعة فبدأوا بإنشاء علاقات مع البارزانيين وبتشجيع من الحزب المذكور أرسل ثلاثة من كبار الضباط للالتحاق بملا مصطفى وهؤلاء هم الرائد الركن عزت عبدالعزيز (الذي انخرط خلال عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ في صفوف القوات المناوئة في كردستان لمساندة ملا مصطفى والقاضي محمد) والنقيب عزيز سيد عبدالله والعقيد أمين رواندزي، بغية إجراء محادثات والتنسيق بين الجانبين.

أعدّ ملا مصطفى بالتعاون مع ضباط الارتباط هؤلاء مسودة مشروع في بارزان ورفعها الى الحكومة العراقية على شكل طلب. هذه أهم النقاط التي جاءت فيها:

١- تشكيل إقليم كردستان من مدن كركوك والسليمانية وأربيل ودهوك وخانقين.
٢- تعيين وزير في الحكومة بصفة وزير كردستان.
٣- تعيين وكيل وزارة كردي في كل وزارة.
٤- ضمان حرية الثقافة والإقتصاد والزراعة وكافة المجالات الأخرى عدا الجيش والشرطة.

جمع ملا مصطفى تواقيع جميع الزعماء الكرد واستحصل تأييدهم لهذه المطالب وأطلع الحكومة العراقية والإنكليز على ذلك. ولمزيد من التقرب الى حزب هيوا رفع عدد ضباط الارتباط الى سبعة، وهذه أسماؤهم:

١- العقيد أمين رواندزي، ضابط ارتباط في منطقة رواندز وبارزان.
٢- الرائد عزت عبدالعزيز، ضابط ارتباط في منطقة بله.
٣- مصطفى خوشناو، ضابط ارتباط في بارزان.

٤- ميرحاج أحمد، ضابط ارتباط في منطقة آكري (عقره).
٥- مجيد علي، ضابط ارتباط في آميدي (العماديه).
٦- سيد عزيز سيد عبدالله، ضابط ارتباط في منطقة ميرگسُور وبرادوست.
٧- فؤاد عارف، ضابط ارتباط في منطقة پشدَر[١٣].

كان ملا مصطفى يتظاهر بأنه يريد المحافظة على سياسة الدولة في منطقة بارزان كما هي وبذلك يحسن العلاقة بين الدولة ورؤساء العشائر، لذا فإنه لفت انتباه رؤساء العشائر ومسؤولي الحزب المذكور من خلال تلك الإجراءات. لكنه في الحقيقة كان يبيّت نية مختلفة وكان يمضي قدماً في سياسته تجاه العراق مما جعل بعضاً من قادة الحزب يدركون أن ما يقوم به ليس سوى لعبة سياسية، ومع ذلك بدأ كبار المسؤولين والجيش يفقدون الثقة بضباط الارتباط المذكورين مما أسفر بالأخير عن تنحيتهم عن المهام الموكلة بهم ومحاولة إعتقالهم. في تلك الأثناء كان ميرحاج ومصطفى خوشناو منهمكين في مهام سرية ونشاطات حزبية بعد أن حصلا على إجازة لمدة شهرين، ولما انتبها الى النية السيئة التي تبيتها الدولة قررا أن يلتحق مريحاج بوظيفته بينما يبقى مصطفى خوشناو في بارزان. وهكذا عاد ميرحاج الى الوظيفة وعامله الجيش بصورة إعتيادية في مبدأ الأمر، مما دفعه الى إرسال رسالة الى مصطفى خوشناو يدعوه للإلتحاق بوظيفته في الجيش، لكن مع وصول الأخير تم إخراجهما من الجيش واعتقل ميرحاج في بغداد على الفور ونقل الى العمارة. أما مصطفى خوشناو فقد تمكن من الهرب الى مسقط رأسه في (بيتواته) عن طريق أربيل وكويسنجق (كويه). ومع تلقيه معلومات عن الوضع ترك عزت عبدالعزيز بغداد متوجهاً الى بارزان بطريق كركوك - أربيل - شقلاوه وأرسل الى مصطفى خوشناو رسالة يطلب منه مغادرة بيتواته والتوجه الى بارزان.

كان مصطفى خوشناو قد أمضى (٤٥) يوماً في بيتواته لما وصلته رسالة عزت عبدالعزيز فتوجه الى بارزان. ثم صار في بارزان الى جانب الرائد الركن عزت عبدالعزيز ونقيب الدروع ميرحاج أحمد ورائد المشاة مصطفى خوشناو عدد آخر من الضباط الذين تركوا صفوف الجيش العراقي وهربوا الى بارزان

(١٣) وكذلك: اللواء بهاءالدين شيخ نوري، ضابط ارتباط في منطقة السليمانية.

وهم:

١- النقيب المدفعي بكر عبدالكريم.

٢- الملازم الاول المدفعي نوري شيرواني.

٣- الملازم الأول المشاة جلال أمين (وقد أسره الجيش الإيراني في أشنويه وبعد إجراء التحقيقات اللازمة معه في قيادة الأركان تم إرساله الى طهران).

٤- الملازم الأول المهندس صالح عبدالعزيز (شقيق عزت عبدالعزيز).

٥- الملازم الثاني المكلف محمد محمود قدسي.

٦- الملازم الأول دروع خيرالله عبدالكريم.

٧- نائب ضابط أول شريف نعمان.

وقد اصدر الجيش العراقي أحكاماً بإعدام جميع هؤلاء خلا بكر عبدالكريم.